إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

أكتوبر ٢٠١٨

أبنائي الأحباء،

عندما أفكر في آبائنا الرهبان الأوائل – أساس طريقنا الرهباني – أجد أنه لم يكن لديهم أقوال الآباء، ولا كتب رهبانية، ولا رسائل ليقرئوها لأجل المعرفة، ولأجل البنيان الروحي، ومع ذلك كانوا ممتلئين من الروح القدس، وخدموا الله وأخوتهم بمحبة عظيمة، ناكرين ذواتهم. هؤلاء كانوا تلاميذ حقيقين لربنا يسوع المسيح. ***"وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ"*** (يو١٣: ٣٤، ٣٥). لقد كان الإنجيل المقدس هو كتابهم، وصايا الله هي ناموسهم، والمثال الحي الذي لربنا يسوع المسيح هو مرشدهم. أما في الوقت الحاضر تبدو الأمور ليست كذلك.

يبدو لي أنه في الوقت الحاضر ملابسنا هي التي تظهرنا أكثر من قلوبنا. ربما نحن نقرأ ونتأمل في الإنجيل المقدس، ربما نقرأ كتب كثيرة، ربما نشارك في التسابيح والصلوات المفروضة ونخدم فيها، وربما أيضاً نكون نحن هم الذين يقومون بخدمة الأسرار! وبالرغم من كل ذلك من الممكن أن نسمع الرب يسوع المسيح قائلاً لنا كما قال للكتبة والفريسيين: **"يَا مُرَاؤُونَ! حَسَنًا تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ"** (مت١٥: ٧-٩).

يبدو أن إنكار الذات ليس هو الآن منهجنا كما يجب، ولكننا نحن غالباً ما نوجد مولعين بسعادتنا الشخصية، ونتمسك بكبريائنا. الأمور التي بسببها يتسمم إيماننا، ويتحطم جهادنا الروحي. هل لأجل هذا تركنا الكل لإتباع الواحد حتى يمكننا أن نتشاجر مع بعضنا البعض متجاهلين تماماً الوصايا المقدسة وطريقنا الذي اخترناه؟!

"الصلاة هي ثمرة الوداعة والتحرر من الغضب". [١] إذا وجدنا أنفسنا في وقتٍ ما وإذ بنا ضللنا عن الطريق، نتصرف بطريقة غير لائقة بدعوتنا الرهبانية، فلنعلم أننا تركنا عنا هدف حياتنا الرئيسي الذي هو الصلاة الحقيقية.

لقد أصبحنا غالباً منشغلين بأمور ثانوية في أهميتها، أو أمور ليست هي ذات أهمية على الأطلاق. ولقد ضعفت بالحقيقة صلاتنا. فالصلاة الحقيقة هي ليست مظاهر، كما ذكرنا سابقاً، ولكن هي صلاة من قلبٍ نقي قد أنكر ذاته وتبع الوصايا. غير أننا لا يمكننا أن نعتبر أنفسنا أننا نصلي حقاً.

أحبائي، لقد تجسد خالقنا وتأنس ليعلمنا الحياة التي يحب أن نحياها. هو لم يأتي ببساطة ليبشر بكلام مُنَّمق، ولكنه هو نفسه كان مثالاً حياً لكل كلمة قالها. لقد فعل كل هذا من أجلنا، نحن أولاده المتضعين. لكي نقتدي بمثاله النقي، ولكي نتحد به في نهاية رحلتنا... ***"تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ"*** (مت٢٥: ٣٤-٣٦).

إن كان هذا الكلام يبدو وكأنه درس مدارس أحد لمرحلة الابتدائية، إذن فلماذا لا نفعل ما أمرنا هو به؟! هل أطعمنا أخينا وأختنا الجياع للحب، أم حسبناهم مستحقين للموت جوعاً؟! هل سقينا العطاشَ للكلمة الروحية، أم جادلناهم من أجل أمور تافهة؟! هل احتضنا وقبلنا إلينا من جعلناهم غرباء عنا، أم كنا منشغلين فقط بالبقاء في منطقة راحتنا الشخصية؟! هل سترنا على خطايا الآخرين، أم كشفناها؟! هل خدمنا، بحثنا، وصلينا لأجل بعضنا البعض عند سقوط أحدٍ منا، أم تركنا بعضنا البعض في أمراضنا الروحية؟! هل كنا مصدر لراحة المحبوسين والمتضايقين، أم كنا حراس لسجنهم... نراقب إبقائهم محبوسين؟!

(١) الفيلوكاليا: القديس إيفاجريوس – في الصلاة (١٥٣ نصاً) – ترجمة الراهب القس أغاثون الأنطوني – مطرانية بني سويف – الطبعة الأولى ٢٠٠٩ – ص٥٥ فقرة ١٤.

قد يكون من الممكن أن تكو ن مسئولاً على العديد من المسئوليات في الدير، يبدو المظهر الخارجي أنك شخصية مهمة جداً، ولكني أقول لك: لا تكن راضياً عن هذا لأن ***"إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا"*** (١كو١٣: ١-٣).

أحبائي، لقد دُعينا بلقب: **"أبونا/أمنا"** دون أن نحصل على ما تحمله هذه الألقاب من معاني. فإن كان هناك أباً بالجسد لامرأة ما، فأهملته وأسأت معاملته، فهل في هذه الحالة تكون هذه المرأة مستحقة للقب **"أم"**؟!

الأب الروحي أو الأم الروحية يجب أن يهتموا بكل أحد. يجب أن يغسلوا أقدام أحبائهم، ليس الصالحين فقط، بل بالأولى الخطاة. لأنه يجب ألا يكون عند الأب أو الأم أبناء متروكين. قد نحكم حكماً قاسياً على أم تشارك في الوقيعة على أبنائها، وتَكّن لهم مشاعر الكراهية في حالة عدم طاعتهم لها أو كسرهم لأوامرها. ربما أيضاً يمكننا أن نعتبر هذه الأم متسلطة وليست مُحبة. ألم نرى جميعاً أمهات يتعقبون أبنائهم في الكنيسة، راجين إياهم أن يكونوا مطيعين ويلزموا الهدوء، ولو للحظة فقط؟! ألم يسبق لنا رؤية أم تحمل ابنها خارجاً ثم ترجع إلى الكنيسة وتغلق الباب ورائها قائلة في نفسها: "إني محتاجة أن ابتعد قليلاً عن طفلي لأجل السلام"؟! ربما عند رؤيتنا هذا الموقف تحدث لنا صدمة، ولكني أقول لكم أننا كثيراً ما نفعل الشيء نفسه مع بعضنا البعض...

أني أشكر ربنا يسوع المسيح بشدة على أنه لا يحاكمنا كما نحاكم نحن بعضنا البعض. أني شاكر جداً له على أنه يعمل معنا كل صلاح، مع أننا لا نستحق هذا الصلاح على الأطلاق. إني شاكر جداً له على أنه بذل حياته لأجلنا... وأنا أصلي فقط أن أكون مستحقاً لأن أتمثل به عاملاً نفس الشيء مع الآخرين.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم،

والمجد لله دائماً أبدياً. آمين.